جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 38 / كانون الأول 2023

التقديم و التأخير في الشاهد القرآني عند الشريف المرتضى(ت 436هـ) (كتاب الأمالي مثالا)

Delayed & submission in the Qur'anic witness according to Sharif al-Murtada (d. 436) (Book of Al-Amali as an example)

نرجس بشير فليح
Narjis Bashir Flayyih
أ.د مسلم مالك الأسدي
Prof. Dr. Muslim Malik al-Asadi

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: الشريف المرتضى، حياته، كتاب الأمالي، التقديم والتأخير، الشاهد القرآني.

KeyWords: Al-sharif Murtada, his life, the book of Al-Amali, introduce and delay, Qurannic witness

الملخص :

التقديم والتأخير هو جانب من جوانب علم المعاني له حضوره المؤثر في تركيب الجملة فأتوا به لما يحمله هذا الأسلوب من دلالة واضحة في الكلام ولما له في القلوب من وقع حسن ومذاق عذب وكان له حضور واضح في الشاهد القرآني من خلال استعمال المرتضى له، فقد بيّن وجوده في الشاهد القرآني فتأخير لفظة وتقديم أخرى لم يكن عبثاً بل جاء لدلالة أو حكمة ربانية استوجبت حضور هذا الأسلوب المتمثل (بالتقديم والتأخير) في موقعها.

Abstract:

interduce and delay is an aspect of the science of semantics that has an influential presence in the sentence structure, so they brought it because of what this method carries of clear indications in speech, and because it has a good impact in the hearts and a sweet taste, and it had a clear presence in the Qur'anic witness through the use of Al-Murtada. The Qur'anic witness, so the delay of his pronunciation and the introduction of another was not in vain, but came for a clear indication or divine wisdom that necessitated the presence of this method represented by (interduce and delay) in its place.

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد

يعد الشريف المرتضى عالماً من علماء اللغة والأدب والبلاغة الذي ثُنيت له ثنايا الحُكمة والمعرفة، لاسيما كتابه الأمالي الذي يُعد مصدراً مهماً من مصادر العلم، وهو من أشهر مصادره بعد الشافي وأغزرها مادةً إذ شمل على الآراء الأمامية في معظم مسائله الكلامية وغيرها من المسائل ولهذه المكانة المهمة كان مناسباً أن نسلط الضوء على جانب من جوانب مباحث علم المعاني ألا وهو (التقديم والتأخير)، وبيان أثره وفاعليته في الشاهد القرآني

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن يتوزع البحث على مطلبين وهما المطلب الأول جاء بعنوان الشريف المرتضى حياته وكتابه الأمالي، وجاء المطلب الثاني بعنوان التقديم والتأخير في الشاهد القرآني، وسبق ذلك كله بمقدمة وملخص باللغة العربية والانجليزية وأنتهى بخاتمة ظهرت فيها مجموعة من النتائج التي أنتهى إليها الباحث، وقائمة للهوامش وقائمة للمصادر والمراجع.

أما ما يخص منهج البحث فقد وجدت، الباحثة من المناسب اعتماد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

وقد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع المتنوعة، (كتب التفسير في مقدمتها، ومنها: الكشاف للزمخشري، التبيان في تفسير القرآن للطوسي، جامع الأحكام القرآن، جامع البيان في تأويل آي القرآن، وتفسير القرآن العظيم، وغيرها)
أما كتب البلاغة، ومنها دلائل الأعجاز، علوم البلاغة، أساليب المعاني في القرآن، وغيرها)

المطلب الأول: الشريف المرتضى حياته وكتابه

وهو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام).

كنيته: أبو القاسم، لقبه: و يلقب بالمرتضى، علم الهدى، ذو المجدين، الأجل، السيد، الشريف، وشيخ الشيعة، نقيب العلويين والطالبيين[1].

ولد المرتضى في رجب سنة 355هـ/965م، في بغداد، من أسرة عريقة النسب، سامية الشرف، رفيعة الشأن، تمتعت بمنزلة اجتماعية ودينية وثقافية وأدبية عالية

ووالده النقيب السيد الحسين الموسوي كان جليل القدر والمنزلة في عصره، أيام الدولة العباسية والبويهية، وتقلد فيها المناصب الرفيعة، فتولى نقابة العلويين، وإمارة الحج، وولاية مظالم المسلمين، ولقب بالطاهر ذي المناقب، (وقد خاطبه بهاء الدولة ابو نصر بن بويه ب(الطاهر الأوحد)، وولى نقابة الطالبيين وفق مرسوم خاص صادر عن الخليفة ومات وهو مقلدها)[2].

أما والدته فهي فاطمة بنت الحسن بن علي بن الحسين بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، الملقب بالناصر الكبير أو الاطروش (ت 304هـ / 916م)[3].

نشأ المرتضى في أحضان هذه الأسرة النبيلة المحترمة التي تنحدر إلى النسب العلوي من جهة الأب والأم، وعاش في كنف ذلك الأب الفاضل الجليل، في بحبوحة من العيش، وهالة من الوجاهة والنعمة، متأثر بمحيطه الأسري في نبل خلقه واعتزازه بنفسه وطموحه إلى المعالي ووراثة الزعامة العلوية، كما تؤكد ذلك قصائد شعره المبكرة.[4]، وقد حرصت أسرتهُ على تعليمه منذ نعومة أظفاره، فأخذته والدته مع أخيه الرضي وهما لم يبلغا سن الحداثة إلى فقيه الامامية وإمامهم، كما ينص مؤرخوا سيرة حياته، محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت 413هـ /1022)، لتعليم الفقه، ثم بدأ بعد ذلك بدراسة الأدب واللغة والبلاغة، وهو صبي لم يتجاوز الخامسة عشر من العمر، على يد عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدي[5]، ولقد كانت للمناصب الدينية التي توارثتها أفراد أسرة المرتضى، الوجاهة الاجتماعية، والمكانة العلمية والأدبية العالية التي حظوا بها، إلى جانب شرف النسب العلوي وغير ذلك من الأمور، دور كبير في زيادة نفوذ هذه الأسرة وفرض احترامها وهيبتها، بين الناس في الدوائر السياسية العليا أيضا، فكان والد المرتضى علي صلة وثيقة بدار الخلافة من جهة وبالسلطات

البويهية من جهة أخرى، ومعظما لدى الطرفين، سفيرا ومفوضا، ووسيط خير وسلام بينهما، ثم بينهما وبين الأمراء من بني حمدان وغيرهم في كثير من الأمور، وقد بلغ احترام السلطات العليا وأن لقبه بهاء الدولة البويهي بالطاهر الأوحد ذي المناقب[6].

توفي الشريف المرتضى في شهر ربيع الأول سنة (436هـ)، ودفن في داره، ثم نقل الى كربلاء، فدفن قريباً من قبر الأمام الحسين (عليه السلام)، عند أبيه وأخيه، وقبره معروف ظاهر[7].

عاصر الشريف المرتضى عددا من خلفاء العصر العباسي من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن الخامس، أبان ضعف الخلفاء وتسلط ملوك بني بويه والوزراء، ومن أبرز من عاصرهم، من الخلفاء الطائع لأمر الله، والقادر والقائم بأمر الله، وعقد علاقة صداقة وطيدة مع الطائع وأيضا له علاقه مع بعض الوزراء الدولة مثل فخر الملك وأبي المنصور بن مافنة، وأبي علي الرخجي، وأبي الفتح وغيرهم، ولم نعرف شاعرا أتصل بهذا العدد الكبير من أعيان عصره وله في جميعهم مدائح، وفي بعضهم رثاء واخوانيات كما أن العلاقة امتدت الى بعض أدباء زمانه كأبي إسحاق الصابئ، وأبي الحسن السبتي، والشاعر العنبري، والشيخ المفيد[8].

وقد انمازت الحياة العلمية في عصره وبلوغ الفنون الأدبية درجة من النضج والتكامل لم يسبق لها أن تبلغ في العصور الماضية، وقد انمازت هذه الفنون فيما بينها، وعدم التداخل بين مسائلها، ووضوح المذاهب الاسلامية، بما كتب من أصول وعقائد فيها وقد بلغت الدراسات القرآنية في هذا العصر أوج ازدهارها، ونشأ التفسير بالرأي، إلى جانب التفسير بالمأثور، فقد تناولهما من خلال مؤلفاته...[9]

نسب المرتضى الى الاعتزال مع أنه كان رأسا في الامامية، وهنا يغنينا صاحب الذخيرة عن الكثير من التوضيح، فقال : هذا المرتضى إمام أئمة العراق، وبين الاختلاف، والاتفاق، إليه فزع علماؤها وعنه أخذ عظماؤها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها و آنسها، ممن سارت أخباره، وعرفت به أشعاره وحمدت في ذات مآثره وآثاره الى تواليفه في الدين وتصانيفه في أحكام المسلمين، بما يشهد انه فرع تلك الأصول ومن أهل ذلك البيت الجليل[10]، وقال عنه ابن الحزم كان المرتضى من كبار المعتزلة الدعاة، وكان أماميا، وأن تبني المرتضى المنهج العقلي في البحوث والمناقشات والادلة والبراهين وفي طريقة تفسيره، واعتماده الرأي والعقل، كل ذلك ساعد على إلصاق هذه الصفة – الاعتزال بالمرتضى، على أنه هو نفسه قد ألف كتابا في الرد على المعتزله، وقد عارضهم في كثير من أرآئهم ولا سيما في كتابه (الشافي في الإمامة)، إن دعوى تأثر المرتضى ببعض عقائد المعتزلة، وميله الى بعض آرائهم، دعوى مردودة لا أساس لها من الصحة[11].

يرى عدد من المؤرخين والأدباء والعلماء الذين عاصروا المرتضى أو جاءوا من بعده على أن المرتضى كان من أبرز علماء عصره في الفقه والأصول وعلم الكلام والعقائد والتفسير، وأنه كان أديبا مبرزا وشاعرا مجيدا وناقدا

بصيرا بمعاني الشعر وفنون البلاغة ورواية ثقة للشعر وأخبار العرب[12]، ويشيد بعضهم بمنزلته العلمية حيث جعلوه إمام عصره في علوم الشريعة واللغة والأدب في العراق.

وقال إبن بسام الشنتريني: ((وكان هذا الشريف إمام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق، إليه فرع علماؤها، وعنه أخذ عظماؤها، و صاحب مدارسها وجماع شاردها و آنسها، ممن سارت أخباره وعرفت أشعاره، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره له تواليف في الدين وتصانيف في أحكام المسلمين، بما يشهد به أنه فرع تلك الأصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل وقد أخرجت من شعره ما لا يمكن لحاقه ولا ينكر تبريزه وسباقه))[13]، ويقول ابن خلكان على أن المرتضى "كان نقيب الطالبيين ومُجمعاً على فضله، وأنه توحد في علوم كثيرة، مثل علم الكلام والفقه وأصوله والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك[14].

ذكر المؤرخون أنّ للمرتضى عدداً كبيرا من المؤلفات زادت على المائة وشملت جميع العلوم الدينية واللغوية، إلى جانب ديوانه الضخم، وعدد من الكتب والرسائل في موضوعات علمية وأدبية مختلفة[15].

فهو يعد موسوعة علمية ثقافية قل نظيرها، فله مؤلفات في الفقه والتفسير والكلام والأدب وغيرها، وهذه الغزارة في الانتاج تعود لتمكنه وتفوقه في هذه المجالات، وقدرته الفائقة على الخوض في كل مضمار يدخله، بفضل اطلاعه، وإحاطته بالعلوم المختلفة، (ومؤلفات الرجل بين كتاب في مجلدات، ورسالة في وريقات، تبلغ الثمانين فيما عده المؤرخون)[16]، وقد أثرى المرتضى مصنفاته بعطاءات غنية جاءت هذه حصيلة المعاناة والجهد الذي بذله والالتحام مع مصادره التحاما موضوعيا عزز من قوة منطلقاته الثقافية، وتعمقت أفكاره، واستقرت شخصيته العلمية، فيمكننا أن نشير الى التعدد مناحي ثقافة المرتضى الموسوعية وما كان عليه المرتضى من نعمة ويسر حال، وما كان عليه محيطه الأسري من احتفاء واهتمام بالعلم والأدب وأيضا يعود السبب إلى بيئته الاجتماعية من نشاط فكري وثقافي متواصل، كلها كانت عوامل فاعلة باعثه على زيادة توجهه للعلم والتكريس من أجله، وعلى استثمار كل ما هو متاح من موارد الأدب الثقافة المتنوعة، حيث ادى ذلك إلى الإسراع في نبوغه المعرفي، وفي الارتقاء بمكانته العلمية والأدبية، وضاعف هذا من وجاهته الاجتماعية، وساعد على تطوير علاقته بخاصة رجال الأدب والسياسة والفكر، ومن ثم ذيوع صيته بين الخاصة والعامة[17].

أمالي المرتضى :

وهي مجالس مختلفة، أملاها في أزمان متعاقبة، تنقل فيها من موضوع الى موضوع، ومن غرض إلى آخر، اختار بعض آي القرآن الكريم، مما يعم تأويله على الخاصة بل العامة، ويدور حولها السؤال، ويثار الاستشكال، وعالج تأويلها وتوجيهها على طريقة الصحابة من المنزلة أو أصحاب العدل كما كان يسميهم وحاول جهده أن يوفق بين تأويل الآيات المتشابهة، وما دار على ألسنة العرب من النصوص الشعر واللغة، وفي هذا أبدى تفوقا

عجيبا وأبان عن ذهن وقاد، وذكاء متلهب، وبصر نافذ، وأعانه فيما فسر وأول ووجه وفرة محفوظة من الشعر واللغة ومأثور الكلام[18].

وأمالي المرتضى القيمة التي قل نظيرها والتي حوت الكثير من المعارف والعلوم المختلفة، وقد صرح ابن خلكان الذي قال عنه : ((وله كتاب سماه (غرر الفوائد ودرر القلائد) وهي مجالس أملاها، تشتمل على فنون من معاني الأدب، تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك، وهو كتاب ممتع يدل على فضل كثير، وتوسع في الاطلاع على العلوم[19]، ويبدو أن هذه المجالس أملاها المرتضى في داره على تلاميذه ومريديه[20].

ولقد انماز كتاب ((الأمالي)) إلى جانب دلالته على شخصية المرتضى كناقد له منهجه الرصين، و ذوقه الشعري الصقيل المهذب، وإحساسه المرهف المقترن بعقلانية العالم، وأسلوب الفيلسوف، بكونه مصدرا مهما من مصادر الأدب لا يستغنى عنه، مرجعا بارزا في التفسير واللغة والبلاغة والتاريخ والأنساب والامثال وعلم الكلام ورواية الشعر [21].

فهو يعد من أشهر كتبه بعد كتاب الشافي، واغرزها مادة إذ اشتمل على الآراء الامامية في معظم المسائل الكلامية مثل الصفات الإلهية، ونفي الجبر وعصمة الانبياء، وغير ذلك كما يعد من أوفر المصادر تفسيرا وأدبا شعرا ونثرا ولغة[22].

والمرتضى حيث يتناول الآي في هذه المجالس المنظمة يعتمد على العقل واللغة والبلاغة بصورة واضحة وليس تأويلا[23].

يتنوع ترتيب الإسناد في الجملة، والتقديم والتأخير له حضوره المؤثر في تركيب الجملة العربية ومتداول بكثره، وهو ليس أمراً تزيينياً فقط بل يعزز مجموعة من الدلالات السياقية المتأتية من طبيعة التركيب ودلالالتها، إن جمال المعاني يتحقق بأمرين حسن تأليفها وتنسيقها وإصابتها للمعنى[24].

وهو أحد الأساليب العربية المتداولة بكثرة وتتبارى فيه لأساليب، وتظهر المواهب والقدرات، ويدلُ على التمكن في الفصاحة، وحسن التصرف في الكلام، ووضعه الموضع الذي يقتضيه المعنى، ويبينه الزركشي قائلاً: هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق[25].

المطلب الثاني : التقديم والتأخير في الشاهد القرآني.

ومن المواضع التي ورد فيها هذا الأسلوب عند المرتضى ما أقتبسه من قوله تعالى:**((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))**[26]، ويمثل هذا الأسلوب من الاعتماد على البلاغة، يؤول المرتضى النظر في قوله تعالى أعلاه، بأن معنى ذلك هو انتظار الثواب مبيناً أن تلك عادة للعرب معروفة [27]، وتجد أن ((تقديم الجار والمجرور في هذا أفاد التخصيص، وأن النظر لا يكون إلا لله، مع جودة الصياغة وتناسق السجع)) [28].

وفي تفسير قوله تعالى أعلاه، أي لما ذكر تعالى أن الناس يؤثرون الدنيا ولذائذها الفانية على الآخرة ومسراتها الباقية، ووصف ما يكون يوم القيامة من انقسام الخلق على فريقين: أبرار وفجار والمعنى وجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة حسنة مضيئة من أثر النعيم، وبشاشة السرور عليها، أما في قوله تعالى: **(إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)**، أي تنظر إلى جلال ربها، وتهيم في جماله أعظم نعيم لأهل الجنة رؤية المولى جل وعلا والنظر إلى وجهه الكريم بلا حجاب[29]. وفي قوله تعالى: **(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا))**[30] يرى الشريف المرتضى أن هذه الآية تحمل معنى التقديم والتأخير، فيكون تلخيصها :إذا أمرنا مُترفي هذه القرية بالطاعة فعصوْا واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم وقد تحقق هذا السياق بتقديم الطاعة وتأخير العذاب لهم. وجاء في تفسير قوله تعالى أعلاه،أي إذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا القليل، أمرناهم (ففسقوا) أي: أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر هنا مجاز وليس حقيقة؛ لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازاً، ووجه أنه صب عليهم النعمة صبا، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك، لتسبب إيلاء النعمة فيه، وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر، وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق، فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم تدميراً ولأنهم لم يأخذوا بما أمرهم الله عليه، فصدوا عن طاعته، وفعلوا ما نهوا عليه[31]، ويمكن أن يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى :**((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ))**[32]، والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة، وأيضاً يقتبس المرتضى من قوله تعالى: **((وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ))**[33]، وقيام طائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة؛ لأن إقامتها هي الإتيان بجميعها على الكمال[34]، وجاء في تفسير قوله تعالى اعلاه، أن الله سبحانه وتعالى يخاطب الذين آمنوا إذ قاموا إلى الصلاة، ومعنى ذلك أي إذا قمتم من المضاجع، يعني النوم وقمتم وأنتم على غير طهرٍ، وأمرهم بغسل الوجه واليدين بصورة خاصة أو بطهارة البدن بصورة عامة؛ لأن الصلاة لا تتم إلا بهذا الغسل أي (الوضوء) فإن طهارة البدن واجبة قبل القيام بها، فجاء السياق مرتباً، وعلى الرغم من تقديمهُ الصلاة وتأخيره الغسل الذي هو واجب التقديم؛ لأنه البداية الصحيحة أو هو أول عمل يجب القيام به عند إتيان الصلاة، لأنها لا تتم إلا بوجود هذا الغسل، فهو ركن رئيس وواجب من أركانها[35].

تفريع : يقدم الخبر على المبتدأ كقوله تعالى: **((وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ))**[36]، يتقدم المرتضى عند محاولته تأويل هذه الآية المباركة بالسؤال: كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب بينهما العداوة ؟ وأي عداوة كانت بينهما؟، الجواب قد ذكر في هذه الآية وجوه: أولها: أن يكون الخطاب موجهاً إلى آدم وحواء وذريتهما؛ لأن الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما؛ ويقوي ذلك قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: **((رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا))**، (البقرة : 128).

ثانيها: أن يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام ولإبليس اللعين؛ وأن يكون الجميع مشتركين في الأمر بالهبوط؛ وليس لأحد أن يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لإبليس ذكر في قوله تعالى: **(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)...**،

وثالثها: أن يكون الخطاب متوجهاً لآدم وحواء والحية التي كانت معهما وهذا رأي كثيرٌ من المفسرين، وفي هذا الوجه بُعدٌ من قبل أنه خطاب من لا يفهم الخطاب ولا يحسن...، وقيل أيضاً أن الخطاب يخص آدم وحواء عليهما السلام، وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك لأن التثنية أول الجمع[37]، أي لكم الاستقرار والمتاع دون غيركم، فالشاهد في هذا هو قوله: **(وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ)**، فلو قال (مستقر لكم) لتوهم ابتداء أنّ (لكم) نعت، وأن خبر المبتدأ سيذكر فيما بعد؛ لأن حاجة النكرة إلى النعت أشد من حاجتها إلى الخبر، ولذلك تعيّن تقديم المسند للتنبيه على أنه خبر لا نعت [38]، وجاء في تفسير قوله تعالى أعلاه أي(وجعل لكم الأرض قراراً) وقيل: مستقر في القبور يكون معنى الاستقرار المكان الذي يستقر فيه، أما قوله: **(وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ)** والمتاع والتمتع والتلذذ والمتعة متقاربة المعنى أي ما يتمتع به الإنسان وكل شيء تمتعت به فهو متاع نحو قوله: **(إِلَىٰ حِينٍ)** فالحين المدة والزمان، أي حين وهلاك الإنسان، وفي هذه الآية يعني الموت، وقيل إلى يوم القيامة[39].

ومنه أيضاً قوله تعالى: **((أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ))**[40]، وذلك أن الملك أراد أن يفسر له الرؤيا التي رآها، فضمن له الذي نجا من السجن ممّن كان مع يوسف(عليه السلام) فأخرج الكلام مخرج التأكيد، ضماناً للوعد الذي قاله، أو لإتمام بناء نسق الكلام ولتحقيق أغراض أخرى معه، وقد يفيد تقديم المسند الاهتمام بالمقدم[41]، وفي تفسير قوله تعالى: **(أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ)** ((ومعنى ذلك: أي أنا اخبركم بتأويله، فأرسلون أي يقول: فأطلقوني أمضي لأنبئكم بتأويله من عند العالم به، فأتاه فقال: يا يوسف، إن الملك قد رأى كذا كذا، فقص الرؤيا عليه، فقال فيها يوسف ما ذكر الله تعالى لنا في الكتاب، فجاءهم مثل فلق الصبح تأويلها، بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك))[42].

تفريع : تقديم فعل الأمر : ومنه ما ورد في قوله تعالى **((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ))**[43]، ((تقديم الفعل (اقرأ) على اسم الله تعالى؛لأن الأمر بالقراءة في ذلك الموضع أهم،إذ بالقراءة حفظ المقروء عادة،وذلك هو المقصود من الإنزال أو إن باسم الله متعلق باقرأ الثانية)) [44]، وجاء في تفسير قوله تعالى: ((ومعنى ظاهر إطلاق قوله:**(اقْرَأْ)** المعنى الأول والمراد به الأمر يتلقى ما يوصيه إليه ملك الوحي من القرآن فالجملة أمر بقراءة كتابة وهي من الكتاب...، وهذا السياق يؤيد أولاً ما ورد أن الآيات أول ما نزل من القرآن على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أمر أن يقرأ في قوله تعالى: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** وفي قوله هذا إشارة إلى قصر الربوبية في الله عز وجل اسمه وهو توحيد الربوبية المقتضية لقصر العبادة فيه فإن المشركين كانوا يقولون: إن الله سبحانه وتعالى ليس له إلا الخلق والإيجاد وأما الربوبية وهي الملك والتدبير فلمقرّبي خلقه من الملائكة والجن والأنس فدفعه الله بقوله **(رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** الناس على أن الربوبية والخلق له وحده))[45].

تفريع : التقديم بحسب الأهمية: وقد ورد الأسلوب نفسه في قوله تعالى :**((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ))**[46]، وقوله تعالى :**((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ))**[47] ((فإنما قدم المخاطبين في الآية الأولى دون الثانية؛ لأن الخطاب في الأولى للفقراء، بدليل قوله (من إملاق)، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم، فقدم الوعد برزقهم على الموعد برزق أولادهم، أما الثانية فالخطاب فيها للأغنياء بدليل قوله**(خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ)** فكان رزق أولادهم هو المطلوب الأهم عندهم، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم))[48]، فنهاهم الله تعالى من قتلهم أولادهم : هو وأدهم بناتهم، كانوا *يئدونهن خشية الفاقة وهي الإملاق، فنهاهم الله عن ذلك وضمن لهم أرزاقهم، وحذرهم من ارتكاب الإثم بهم، فإن الله هو كافلهم ورازقهم فهو يتولاهم بعطفه ورحمته الواسعة[49]، منه أيضاً قوله تعالى: **((اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ))**[50]، يوضح المرتضى معنى قوله تعالى، أنه أمر الهدهد بإلقائه، أي (الكتاب) إليهم وقال له: انظر ماذا يرجعون، ثم تولّ عنهم...،[51]، وذلك أن سليمان (عليه السلام) كتب كتاباً إلى بلقيس وقومها، وأعطى ذلك للهدهد فحمله، وجاء إلى بلادهم فوصل إلى قصر بلقيس إلى الخلوة التي كانت تختلي بها بنفسها فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها، ثم تولى ناحية أدباً ورياسة، فتحيّرت مما رأت وهالها ذلك، ثم عمدت إلى كتاب وفتحت ختمة وقرأته فإذا فيه: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين) فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وأهل مملكتها[52].

ويرى بعضهم أن معناه : اذهبْ بكتابي هذا، فألقِه إليهم، فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم منصرفاً إلي، فقال هو من المؤخر الذي معناه التقديم، وقيل كان لها كوة مستقبلة الشمس ساعة تطلع الشمسُ فيها فتسجدُ لها فأتى الهدهد ووقف فيها فسدها، ولذلك استبطأت الشمسَ فقامت تنظرُ، فرمى الهدهد الصحيفة التي كانت مخبأة تحت جناحيه، وطار حتى قامت تنظر الشمس وبعدها تولى الهدهد إلى سليمان بعد إلقائه الكتاب[53].

وإن أهمية التقديم والتأخير في التأثير النفسي من حيث التمهيد والتشويق في أول الكلام ولما يأتي بعده، ولما يكون فيه إصابة الغرض بالتعبير المناسب.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف خلص البحث إلى عدد من النتائج نوجز اهمها بالآتي :

1- تمظهرت في شخصية المرتضى من خلال كتابه الأمالي الطبيعة الدينية ومدى حضور الشاهد القرآني في صفحات الكتاب.

يعد كتاب الأمالي مصدراً مهماً من مصادر الأدب واللغة والبلاغة فهو مصدر غني بغزارة المادة العلمية التي يحتويها.

2- يعد التقديم والتأخير أحد أساليب العربية المتداولة بكثرة وتظهر فيه المواهب والقدرات وهذا يدل على التمكن في الفصاحة.

3- فقد كان لحضور التقديم والتأخير حضوراً واضح في تركيبة الجملة بصورة عامة وفي الشاهد القرآني بصورة خاصة فقد أضفى على النص رونقاً وجمالاً وزاد المعنى وكانت هذه غايته القصوى.

4- إن أهمية التقديم والتأخير في تأثيره النفسي من حيث التمهيد والتشويق في أول الكلام ولما يأتي بعده ولما يكون فيه أصابة الغرض بالتعبير المناسب.

5- التقديم والتأخير هو جانب مهم من جوانب علم المعاني له حضوره المؤثر في تركيب الجملة فأتوا به لما يحملهُ هذا الأسلوب من دلالة واضحة في الكلام، لما له في القلوب موقع حسن وأعذب مذاق، وكان له حضور واضح في الشاهد القرآني، عن طريق استعمال المرتضى له، فقد بين وجوده في الشاهد القرآني فأن تأخير لفظة وتقديم أخرى عليها، لم يكن عبثاً بل جاء لدلالة ولحكمة ربانية واضحة تستوجب حضور هذا الأسلوب في موقعها.

الهوامش:

1 الفهرست،125.

2 شرح نهج البلاغة،20/1.

3 روضات الجنات،256/2.

4 ينظر: ديوان الشريف المرتضى،279/1-284.

5 ينظر: مقدمة الأمالي،8/1.

6 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،226/1-227.

7 عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب،2/4.

8 ديوان الشريف المرتضى،7/1.

9 ينظر: أدب المرتضى،40/3.

10 الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،465/4-466.

11 الشريف المرتضى حياته وأدبه ونقده،54.

12 الشافي في الإمامة،38/1.

13 الشريف المرتضى حياته وثقافته وأدبه ونقده،45.

14 الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،465/4-466.

15 وفيات الأعيان،173/5.

16 الفهرست،125.

17 أدب المرتضى،129.

18 الشريف المرتضى حياته وثقافته ونقده وأدبه،36.

19 آمالي المرتضى،17/1.

20 وفيات الأعيان،3/3.

21 مقدمة الأمالي،18/1.

22 الشريف المرتضى حياته وثقافته ونقده وأدبه،109.
23 الشريف المرتضى متكلماً،10.
24 منهج الشيخ الطوسي في تفسير القرآن،38.
25 ينظر :الصورة الأدبية في القرآن الكريم،14.
26 سورة القيامة،22-23.
27 ينظر: أمالي المرتضى :1/ 36.
28 علوم البلاغة،100.
29 صفوة التفاسير،486/3.
30 سورة الإسراء،16.
31 ينظر :الكشاف،500/3
32 سورة المائدة : 6.
33 سورة النساء،102.
34 آمالي المرتضى،4/1.
35 ينظر: الدر المنثور في تفسير بالمأثور،102/5.
36 سورة البقرة : 36.
37 أمالي المرتضى، 2 / 154.
38 أساليب المعاني في القرآن :330.
39 ينظر : التبيان في تفسير القرآن :1 / 165.
40 سورة يوسف :45.
41 أساليب المعاني في القرآن : 332.
42 جامع لأحكام القرآن،13/ 187.
43 سورة العلق : 1.
44 علوم البلاغة : 107.
45 الميزان في تفسير القرآن : 20 /323.
46 سورة الأنعام: 151.
47 سورة الإسراء : 31.
48 البلاغة العالية (علم المعاني): 84.
49 ينظر: تفسير الكشاف : 3/ 515.
50 سورة النمل: 28.
51 أمالي المرتضى :1/ 514.
52 تفسير القرآن العظيم : 170/6.
53 جامع البيان في تأويل آي القرآن: 18 /4.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أدب المرتضى من سيرته وآثاره، عبد الرزاق محي الدين، مطبعة المعارف، بغداد، 1957م.
- أدب المرتضى من سيرته وآثاره، عبد الرزاق محي الدين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٧م.
- أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، مؤسسة بوستان كتاب، ط 1، (د.ت).
- أمالي المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي الشريف المرتضى (ت355 –436هـ)، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ذوي القربي قم المقدسة، ط1، 1384.
- التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 546هـ)، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، مكتبة الإعلام السياسي، ط1، تاريخ النشر،1409هـ.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي من القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث للدراسات العربية والإسلامية بدار هجر– القاهرة، ط1، 1422هـ –2004م
- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774هـ)، إعداد : إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1420–1999م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (849هـ –911هـ)، تح : عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط1، القاهرة 1424هـ– 2003م.
- ديوان المرتضى، علي بن الحسين الشريف المرتضى، تح : رشيد الصفار، راجعه : مصطفى جواد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – 1958م
- الرجال، تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي، مطبوع مع كتاب الرجال لأبي جعفر أحمد بن علي عبدالله البرقي، طهران، 1383هـ.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا محمد باقر الخوانساري، تح : أسد الله اسماعيليان، طهران – قم، 1390هـ.
- الشافي في الإمامة، علي بن الحسين الشريف المرتضى، طبعة حجر –إيران، 1301هـ.
- شرح نهج البلاغة، أبن أبي الحديد، تح : محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1959.
- الشريف المرتضى حياته ثقافته أدبه ونقده، أحمد محمد المعتوق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2008م.

- الشريف المرتضى متكلماً، رؤوف أحمد الشمري، راجعه : إبراهيم رفاعة، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، ط1، 1434هـ -1329هـ.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، 1981م.
- الصورة الفنية الأدبية في القرآن الكريم، صلاح عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان القاهرة، ط٤، 1995م
- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (ت 828هـ)، الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، 1961م
- الفهرست، الشيخ الطوسي، تح: رضا تجدد بن علي الحائري، دار المسيرة، 1988م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ط)، 1407هـ.
- لسان الميزان، أحمد بن علي حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، 1331هـ.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597هـ)، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1358 هـ
- منهج الشيخ الطوسي في تفسير القرآن الكريم، كاصد الزيدي، أطروحة دكتوراه، مطبوعة بالآلة الكاتبة –مقدمة إلى جامعة القاهرة –كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1396هـ -١٩٧١٩٧م.
- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد خلكان (ت 681هـ)، تح : إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، 1968م، دار صادر –بيروت (د.ت).